

الفصل: الرابع

وحدة: اللغة والترجمة

الأستاذ: حميد الفاتحي

المحاضرة رقم: 4

السنة الجامعية

2021-2020

جامعة ابن طفيل	السنة الجامعية: 2020-2021
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية	وحدة: اللغة والترجمة
شعبة التاريخ والحضارة	الأستاذ: حميد الفاتحي
الفصل الرابع	المحاضرة رقم: 4

المحاضرة الرابعة

ثالثا: حركة الترجمة في التاريخ الإسلامي المبكر

لا شك أن جهود الترجمة ضاربة بجذورها في التاريخ، وتبين، من خلال ما سبق، أن الأمم لجأت للترجمة بأهداف اقتصادية واجتماعية وثقافية وحضارية عامة، وقد استفاد المسلمون بدورهم من التراث الإنساني المشترك الذي تتداوله الشعوب.

ويميل الباحث محمد عابد الجابري إلى أن البداية الفعلية للثقافة العربية الإسلامية كانت انطلاقاً من عصر التدوين الذي شهد العصر العباسي انطلاقته حوالي سنة 143هـ¹، إذ تم تعويد اللغة العربية، وأعيد بناء الأدب "الجاهلي" وأخباره، وتسجيل العلوم الإسلامية من حديث وفقه وتفسير... وتم دمج الموروث القديم الذي خلفته الثقافات القديمة كالبابلية والفينيقية واليونانية والسريانية والمصرية... «وذلك بواسطة الترجمة والتلخيص والشرح والتعقيب»². وهذا ما شكل مصدر غني للثقافة الإسلامية بتعدد مشاربها وأسهم في تعدد الرؤى في مجال الدين والعلم والفلسفة³.

غير أن ما ينبغي التأكيد عليه هو الترجمة لم تنتظر "عصر التدوين" زمن العباسيين، وإنما كانت المحاولات الأولى قبل ذلك في زمن الأمويين حيث عمل الأمير الأموي خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (ت85هـ) على

¹ - محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة العاشرة، 2009، ص63.

² - محمد عابد الجابري، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، 1990، ص41.

³ - نفسه، صص41-42.

استدعاء جماعة من اليونانيين الذين كانوا مستقرين بالإسكندرية، ويقال إنه سافر إليهم، وطلب منهم ترجمة كتب اليونان والأقباط في الكيمياء والتي تشرح كيفية تحويل المعادن الخسيسة إلى فضة وذهب⁴. وينسب لهذا الأمير كذلك نقل كتب في الطب كـ بعض كتب الطبيب اليوناني جالينوس (ت. حوالي 216م) كما ينسب للخليفة عمر بن عبد العزيز إذاعة كتاب في الطب تُرجم من السريانية إلى العربية⁵. ولا يعزب عن بالنا أن "تعريب الدواوين"، أي تعريب الإدارة والسجلات والدفاتر الإدارية والحكومية، قد تم في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (ت86هـ) بعد أن كانت لغة الوثائق هي الفارسية في العراق واليونانية في الشام ومصر، وبهذا تم تطويع اللغة العربية، وتحويلها من لغة شعر وخطابة إلى لغة علمية حضارية وإغنائها بالمصطلحات والمفاهيم⁶.

وفي العصر العباسي، لم تقتصر نتائج الفتوحات الإسلامية على الانفتاح على الثقافات الأخرى فحسب، بل عمد الخلفاء إلى توسيع نطاق الحدود المعرفية لدولتهم لتتسع أكثر لدراسة الفلسفة والعلوم⁷. ولاستيعاب ضخامة العمل المطلوب في الترجمة والنسخ وحزن الكتب المنقولة عن الفارسية والهندية واليونانية، أنشأ الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور مكتبة تضاوي تلك التي كانت عند أكاسرة الفرس، وكان هذا أصل ما بات يعرف ببيت الحكمة⁸.

وعمل العباسيون للحصول على "تكنولوجيا" الورق الصينية، وحسب ما يروى، فإن أسيرا صينيا جلب فن صناعة الورق إلى مدينة سمرقند بآسيا الوسطى، وسرعان ما ازدهر هذا الفن بالعراق والشام وبلاد المغرب والأندلس، مما

⁴ - الجابري، تكوين العقل العربي، ص 68.

⁵ - نفسه، الصفحة نفسها.

⁶ - نفسه، الصفحة نفسها.

⁷ - جوناثان ليونز، بيت الحكمة، مركز الباطين للترجمة، الكويت، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2013، ص 91.

⁸ - نفسه، ص 92.

أسفر عن شيوع منتج رخيص ومَرِنٍ وملائم لتدوين المعاملات والكراريس الفلسفية وجداول النجوم... وساعد في تطور حركة التأليف والترجمة⁹.

وانخرط في عملية الترجمة بعضٌ ممن اندرجوا في البناء الثقافي الإسلامي الشامل بالتدوين في السياسة بحيث تولى عبد الله بن المقفع (ت142هـ) في ترجمة الأدبيات السياسية وتعريبها، أي تحويلها إلى خطاب عربي موجه لرجال الدولة العربية في خدمة قضايا المعارضة الناشئة. ومن بين ما ترجمه كتاب "كليلة ودمنة" المنتمي للثقافة الهندية والفارسية والمشحون بالدلالات الرمزية السياسية المعارضة لسياسة الدولة القائمة¹⁰.

ومحاكاةً للعباسيين، أسس إبراهيم بن أحمد الأغلبي بيت الحكمة بمدينة رقادة، وتم تخصيص قسم منه لحفظ الكتب والأقسام الأخرى للترجمة والنسخ والتأليف والتجليد والمطالعة، وعمل إبراهيم بن الأغلب على اقتناء الكتب المترجمة في الطب والهندسة والنجوم والكتب التي ألفت في الحديث والتاريخ والأدب، وأحضر العلماء والأطباء من بغداد ومصر¹¹. وبعد إسقاط الفاطميين للحكم الأغلبي في إفريقية ورحيلهم إلى مصر، نقلوا معهم الكتب ووضعوها في بيت الحكمة الذي أسسوه هناك¹².

وفي الأندلس، سمح الجو الذي أشاعه الخليفة المستنصر الأموي بظهور عدد من المشتغلين بالعلوم وضم قصر الخليفة مكتبة علمية، واجتهد في الحصول على كتب الإغريق، وأباح لأهل تدريس الرياضيات والفلك¹³. ويصر الباحث ليفي بروفنسال على أن مؤلفات الفكر والآثار العلمية الفارسية واليونانية قد تم استنساخها عن طريق

⁹ - نفسه، صص85-86.

¹⁰ - الجابري، تكوين العقل العربي، ص69.

¹¹ - البشير التليسي، الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، بنغازي، الطبعة الأولى، 2003، ص82.

¹² - نفسه، الصفحة نفسها.

¹³ - أنخل بالثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1955، ص448.

المشرق، وبَدَل الخلفاء الأمويون في الأندلس جهدا لجلب المؤلفات الرئيسية النادرة المتعلقة بالعلوم الرياضية والطب والفلسفة...¹⁴.

وهكذا، يبدو أن حركة الترجمة في المشرق والمغرب ارتبطت بصحوة حضارية عامة انتهت إلى «استيعاب ما تُرجم وهضمه وتمثُّله والإضافة إليه، وأخيرا تكريسه في خدمة أغراض عملية حياتية»¹⁵. وتجاوز المسلمون نقل تراث الأوائل وحفظه إلى الإبداع وجعل العلم ممارسة في الحياة اليومية¹⁶. غير هذا الانفتاح على الآخر عرف انتكاسة ودخل في طور الانهيار منذ القرن الخامس للهجرة وهجر علم الأوائل ومؤلفات العلماء المسلمين بسيطرة الإقطاع العسكري وطغيان الزعامات البدوية، بالإضافة إلى إقدام المغول على الإجهاز على ما تبقى من دار الحكمة ببغداد ف«كان من الطبيعي أن يتردى الفكر في هاوية الانحطاط»¹⁷.

¹⁴ - ليفي بوفنسال، الحضارة العربية في الأندلس، ترجمة ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص 69.

¹⁵ - محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، طور التكوين، سينا للنشر-الانتشار العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 2000، ج 1، ص 187.

¹⁶ - نفسه، الصفحة نفسها.

¹⁷ - محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، طور الانهيار2، سينا للنشر-الانتشار العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 2000، ص 19.

العلوم عند العرب

...كانت العرب في صدر الإسلام لا تُعنى بشيء من العلم إلا بلُغَتِها ومعرفة أحكام شريعته حاشا صناعة الطب، فإنها كانت موجودة عند أفراد من العرب... وكان منهم خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان كان بصيرا بالطب والكيمياء...فهذه كانت حالة العرب في الدولة الأموية، فلما أزال الله تعالى تلك الدولة بالهاشمية [العباسية]، وصرف المُلْك إليهم ثابت الهمم من غفلتها، وهبّت الفِطن من سنّتها، فكان أول من عُنيَ منهم بالعلوم الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور... فكان رحمه الله تعالى مع براعته في الفقه وتُقْمِه في علم الفلسفة وخاصة في علم صناعة النجوم كَلْفاً بها وبأهلها. ثم أفضت الخلافة إلى الخليفة السابع منهم عبد الله المامون بن هارون الرشيد... فأقبل على طلب العلم في مواضعه واستخرجه من معادنه بفضل همته الشريفة وقوة نفسه الفاضلة، فدخل ملوك الروم وأتحفهم بالهدايا الخطيرة، وسألهم صلّته بما لديهم من كتب الفلاسفة، فبعثوا إليه بما حضرهم من كتب أفلاطون وأرسطاطاليس وأبقراطوجالينوس وأوقليدس وبطليموس وغيرهم من الفلاسفة، فاستجاد لها مهرة التراجمة وكَلَّفَهُم إحصاء ترجمتها ، فترجمت له على غاية ما أمكن، ثم حضّ الناس على قراءتها ورغّبهم في تعليمها...

صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، نشر الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1912، صص47-48.